سر کلومبر

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

سر كلومبر

اسم النص الأصلي: The mystery of cloomber

اسم المؤلف: A.conan doyle

ترجمة: محمد أحمد حسين

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2020/20258

الترقيم الدولي: 978-977-8634-44-2

الطبعة الأولى: 2020

آرثر كونان

سـر كـلومبر

رواية

ترجمة

محمد أحمد حسين

دارك
للنشر والتوزيع

(عن الكاتب وعن الرواية)

عن الكاتب:

-هو السير(آرثر إغناتيوس كونان دويل) (22 مايو 1859 – 7 يوليو 1930) طبيب إسكتلندي وكاتب مشهور...

من غير الممكن ذِكر اسم (آرثر دويل) دون أن يقفز إلى الأذهان الشخصية الشهيرة (شيرلوك هولمز) التي أبدعها الكاتب وفتحت أمامه أبواب الشهرة والخلود الأدبي، الشخصية التي استوحاها من أستاذه في الجامعة (جيمس بيل)، كما استوحى شخصية صديق (هولمز)-الدكتور (واطسون)- من الطبيب (جايمس واطسون) الذي زامله أثناء ممارسة الطب في (بورتسموث) وكان يشتهر بخفة الظل ونهمه الشديد للطعام!

ابتكر أيضًا (دويل) شخصية العالم البروفيسور (تشالنجر) المهتم في البحث في الماورائيات والظواهر الغريبة، وقد حققت تلك الشخصية أيضًا نجاحًا مقبولًا، ولكنه لا يُقارَن بنجاح شخصية (هولمز).

كانت أولى روايات (دويل) المطبوعة -بحسب موقع ويكيبيديا- هي رواية (دراسة بالقرمزي) عام 1887م وهي الرواية التي شهدت الظهور الأول لهولمز ورفيقه، ولاقت نجاحًا مستحسنًا، وإن رجّح بعض النقاد أن (دويل) قد كتب روايات أخرى قبلها راسل بها العديد من المجلات، ولكن لم يتم نشرها إلا في

السنوات التي تلت نجاح (دراسة بالقرمزي) ورواية المغامرات التاريخية التي تلتها (ميخا كلارك) في عام 1888م.

يمتاز أدب (دويل) بأنك لا يمكن أن تمل منه أبدًا، ولا يمكن توقع ما ستسفر عنه الأحداث في الكتاب الذي يقع بين يدي القارئ؛ فكتاباته متنوعة بين المغامرة، والتشويق، والإثارة، والخيال العلمي، والأدب التاريخي أيضًا!

لم يكن (دويل) مجرد كاتب للقصص والروايات فحسب؛ بل كتبَ مجلداتٍ تاريخية هامة لم تحز -للأسف- نصف شهرة روايات وقصص (هولمز) و (تشالنجر)!

من أهم هذه الكتب:

-حرب البوير العظمى (عام 1900م)

-جريمة الكونغو (عام 1909م).. (في هذا الكتاب فضح (دويل) الممارسات الوحشية للاحتلال البلجيكي لدولة الكونغو)

-الحرب الألمانية (عام 1914م)

وغيرها من الكتب التاريخية الهامة، كما اهتم أيضًا بعلم الروحانيات وسعى حثيثًا لاكتشاف العوالم الغيبية المجهولة، وقام بتدوين تجاربه الشجاعة في أكثر من كتاب نذكر منها:

- ما هي الروحانية (صدر باسم: الوحي الجديد) عام 1918م

-رحلة روحانية عام 1921م

-تاريخ الروحانية عام 1927م

وهكذا كانت حياة ذلك الكاتب المغامر الشجاع، الذ جذب أنظار القراء الانجليز وقراء العالم أجمع بروعة أسلوبه وحبكة أحداثه الرائعة، ونجح أن

ينقل بين دفتي أي كتاب يحمل اسمه، القارئ إلى عوالم غامضة مثيرة مفعمة بالتشويق والإثارة في رحلة ممتعة مع التاريخ والألغاز والعصابات الذكية والظواهر الغريبة، مع (هولمز) و (تشالنجر) ومدافع حرب البوير وجلسات تحضير الأرواح..

عن الرواية:

تمت طباعة هذه الرواية عام 1889م وفي ترتيب الروايات التي كتبها (دويل) تحتل المرتبة الثالثة بعد (دراسة في القرمزي) و (ميخا كلارك)... وقد رجحت بعض الأخبار أن (سر كلومبر) تم نشرها عام 1888م وليس عام 1889م لتحتل بذلك -فعليًا- المرتبة الثانية في كتابات (دويل).

عامة.. ظهرت (سر كلومبر) في جريدة (بول مول) أواخر عام 1888م وهي أول رواية رعب تشويقي كتبها (دويل) مبتعدًا بها عن جو التحقيقات والمطاردات الذي تميزت به قصص (هولمز).

والرواية تعتمد على تيمة الجيران الغامضين، المنغلقين على أنفسهم ويبدو أنهم يخفون سرًا خطيرًا، نجحت الرواية نجاحًا كبيرًا وبشَّرت بموهبة (دويل) المبكرة في السرد والوصف وإتقان الحبكة، كما جمعت الرواية قسطًا لا بأس به عبَّر عن حياة جنرالات الحرب الإنجليز في الغربة بعيدًا عن الديار وهم يحاولون فرض سطوة الإمبراطورية البريطانية على الدول التي تحتلها.

كما كان للوصف التفصيلي للقرى الإسكتلندية النائية ومشاهد الطبيعة في الريف الإنجليزي أبلغ الأثر في نفس القارئ، كي يلتقط أنفاسه وهو يحاول كشف غموض قاعة كلومبر ذات البرج الشاهق، وسكانها الكئيبين.

رواية (سر كلومبر) سعدت بها وأنا أقرأها بالإنجليزية، وازدادت سعادتي وأنا

أترجمها للعربية؛ كي أنقل للقارئ العربي هذه الرواية البديعة التي تجمع بين الغموض والتشويق والإثارة في كتاب واحد يستحق أن يطلق عليه بالفعل.. أحد إبداعات (آرثر كونان دويل).

(المترجم)

الفصل الأول

(الهجرة من ادنبرة[1])

لقد سعيت أنا (جون فوثيرجيل ويست) -طالب القانون بجامعة سانت أندرياس- في الصفحات التالية إلى تدوين قصتي أمام الجمهور بطريقة مُوجَزة قبل أن يظن بعض الناس أنني أسردها بغرض احتراف الأدب أو الكسب من ورائها.

لا توجد لدي رغبة في تحقيق نجاحٍ أدبي، ولست مولعًا بروعة أسلوبي، ولست مهتمًا بالترتيب الفني للأحداث، وذلك لألقي بظلال أعمق على الأحداث الغريبة التي يجب أن أتحدث عنها.

كل ما أطمح إليه هو أن أولئك الذين يعرفون شيئًا عن هذه المسألة، بعد قراءة هذا النص أن يكونوا قادرين على الحكم عليها بضميرٍ حيٍّ دون العثور على فقرة واحدة قمت بإضافتها إلى الحقيقة أو انتقاصها منها.

في حالة تحقيق هذه النتيجة سأشعر بالرضا التام عن نتيجة مغامرتي الأولى -وربما الأخيرة- في الأدب.

كنت أنوي كتابة تسلسل الأحداث بالترتيب المناسب وفق الأقاويل الموثوق بها عندما كنت أصف ما يتجاوز معرفتي الشخصية. ولكن من خلال تعاون الأصدقاء المثمر، أصبح لديّ الآن تخطيط جيد للنص أُعِدَ بحيث يكون أقل إرهاقًا بالنسبة لي وأكثر إرضاء للقارئ.

1) (ادنبرة): مدينة بإسكتلندا تتبع التاج البريطاني.

وهذا لا يقلل من الاستفادة من المخطوطات المختلفة التي اعتمدت عليها في الموضوع، ولا من الأدلة المباشرة التي ساهم بها أولئك الذين أتيحت لهم فرص أفضل لمعرفة الجنرال ج. ب. هيذرستون

عملًا بهذا التصميم، سأعرض أمام الجمهور إفادة (إسرائيل ستاكيس)، البستاني السابق في قاعة كلومبر، و(جون إيسترلينغ) القاطن حاليًا في (سترانرير) (ويجتونشاير).

إضافة إلى السابق، سأضيف مقتطفاتٍ من مذكرات الراحل (جون بيرثي هيذرستون)، عن الأحداث التي وقعت في وادي ثول خريف عام 1841 مع نهاية الحرب الأفغانية الأولى[2]، مع وصف المناوشات في(تيرادا تنجس) وموت غولاب شاه.

بالنسبة لي، فعندي التزام بملء جميع الفجوات والثغرات التي قد تُترك في السرد بموجب هذا الترتيب، فتحولت من مؤلف إلى مترجم، لكن من ناحية أخرى كاد أن يتوقف عملي عن أن يكون قصة تحوُّل إلى سلسلة من الشهادات الخطية!

كان والدي، (جون هانتر ويست)، باحثًا مشهورًا في اللغات شرقية والسنسكريتية[3] ولا يزال اسمه معروفًا بالنسبة لأولئك المهتمين بمثل هذه الأمور.

لقد كان هو أول من لفت انتباه السير وليام جونز إلى القيمة الكبيرة للأدب

---

2) (الحرب الأفغانية الأولى): حرب دارت بين التاج البريطاني وأفغانستان، من سنة 1838 إلى 1842

3) (السنسكريتية): لغة قديمة في الهند وهي لغة طقوسية للهندوسية، والبوذية، والجانية. لها موقع في الهند وجنوب شرق آسيا مشابه للغة اللاتينية واليونانية في أوروبا

الفارسي القديم، وحظيت ترجماته عن الحافظ وعن فريد الدين عطار[4] بأحرٍّ ثناء من البارون فون هامر بورغستال، في فيينا، وغيره من النقاد البارزين حول العالم.

في قضية (ورقة العلوم الشرقية) لشهر يناير عام 1861 تم وصفه بأنه (القنَّاص الماهر واسع الاطلاع) أتذكره جيدًا وهو يُخرِس الألسنة بصورة قاطعة وبغرور عفوي وهو يتعامل مع سجلات وإرث أهم عائلة مبجلة!

لقد ترعرع ليكون محاميًا، أو (كاتب ختم)، كما يطلق عليه في إسكتلندا، ولكن هوايته استنزفت وقته لدرجة أنه لم يكن لديه سوى القليل منه لمهنته.

عندما كان موكلوه يبحثون عنه في مكتبه بشارع جورج، كان يقضي فترة راحته مدفونًا بين الكتب بمكتبة المحامين، أو يملأ بعض المخطوطات المتعفنة في المعهد الفلسفي، ويرى أن تدريب عقله على فك شفرات ظهرت قبل ولادة المسيح بستمائة عام أفضل من المشاكل المعقدة للقانون الإسكتلندي في القرن التاسع عشر!

ومن ثم لا يمكن أن نتساءل في هذا الأمر؛ لأن تعليمه ساعده في تلك التدريبات على فك الشفرات، وحتى في اللحظة التي وصل فيها إلى ذروة شهرته، وصلت حالته المادية إلى الحضيض.

ونظرًا لعدم وجود كرسي لقسم السنسكريت في أيٍّ من الجامعات الوطنية ولا يوجد طلب في أي مكانٍ على أبحاثه وترجماته، كان ينبغي لنا أن ننعزل في فقرٍ أنيقٍ، ونعزي أنفسنا بالأعراف والمبادئ الخاصة بفيردوسي[5] وعمر الخيام،

---

4) (فريد الدين عطار): شاعر فارسي متصوف، قال البعلبكي أنه «يُعتبر أحد أعظم الشعراء والمفكرين الصوفيين المسلمين». عُرف بغزارة الإنتاج، وقد تركت أعماله أثرًا ملحوظًا في الأدب الفارسي وفي الآداب الإسلامية الأخرى أيضًا. أشهر آثاره منطق الطير وهو شبه ملحمة نقع فيها على أوضح تفسير شعري للتصوّف الفارسي.

5) الفيردوسي: شاعر فارسي شهير.

وغيره من شعرائه المفضلين في الشرق ونعتمد على لطف وكرم أخيه غير الشقيق (وليام فارنتوش)، لورد برانكسوم في (ويجتاونشاير).

كان (وليام فارنتوش) مالكًا لرقعة من الأرض ولسوء الحظ لم تكن قيمتها متناسبة مع مساحتها؛ لأنها في المجمل كانت أرضًا مظلمة قاحلة وجرداء، ولكن كأعزب كانت نفقاته محدودة وكان يحصل من إيجارات المنازل الريفية المتناثرة على أرضه على ما يكفيه، ليس فقط للعيش في حالة ميسورة، ولكن ليصبح عنده مبلغ كبير في البنك.

لم نسمع سوى القليل عن قريبنا العطوف خلال أيام ازدهارنا النسبي، ولكن في نهاية الأمر وصلنا منه خطاب كان بمثابة ملاك الرحمة بالنسبة لنا، وأعطانا قناعة بتعاطفه معنا وسعيه لنجدتنا، عندما أخبرنا لورد برانكسوم في خطابه أن إحدى رئتيه أصابها المرض، وأن الدكتور (إستيرلنج) من (سترانرير)، قد نصحه بشدة بقضاء بعض السنوات القادمة في أجواء لطيفة الهواء.

ولذلك فقد قرر أن يتجه إلى جنوب إيطاليا، وطلب منا أن نقيم في برانكسوم حال غيابه، وأن يتولى والدي دور وكيل الأرض براتب محترم يدفع عننا الخوف من الفقر.

كانت والدتنا قد ماتت منذ عدة سنوات؛ بحيث لم يكن هناك سواي وأبي وأختي (إستير) للتشاور في ذلك الأمر، ويمكن بسهولة تخيُّل أن الأمر لم يستغرق وقتًا طويلًا لاتخاذ قرارٍ بشأن قبول العرض السخي المقدَّم لنا.

انتقل والدي إلى (ويجتاون) في تلك الليلة، وتبعته أنا و (إستر) بعد ذلك بأيامٍ قليلة، حاملين معنا جوالين بطاطس ملأناهما بالكتب المفيدة الخاصة بوالدي، وغيرها من الأدوات المنزلية التي كانت تستحق تكبُّد عناء حملها، ونفقات النقل.

الفصل الثاني

(السلوك الغريب للمستأجر القادم إلى كلومبر)

قد تبدو برانكسوم مكانًا فقيرًا محدودًا عند مقارنتها بالميادين الإنجليزية، ولكن بالنسبة لنا وبعد إقامتنا الطويلة في شقق ضيقة كان الأمر رائعًا للغاية.

كان المبنى واسعًا وليس بعال، وسطحه مزيَّن بالبلاط الأحمر ونوافذ مطلية باللون الذهبي، وغرف سكنية ذات سقف أسود مصنوع من خشب السندان.

عند الواجهة كان هناك عشبٌ صغيرٌ، يدور بخفة مع فروع خشب الزان الذابلة من آثار أمواج البحر، ووراء المنزل كانت قرية (برانكسوم بيري) عشرة منازل ريفية على الأكثر متناثرة يسكنها صيَّادون سمك حمقى ينظرون إلى اللورد على أنه حاميهم الطبيعي.

إلى الغرب كان الشاطئ الأصفر الواسع والبحر الآيرلندي، بينما في جميع الاتجاهات الأخرى كانت المستنقعات المهجورة، ذات اللون الأخضر الداكن في المقدمة، والأرجواني على بُعدِ النظر ممتدة بعيدًا في منحنيات طويلة ومنخفضة إلى الأفق قاتمة جدًّا ومعزولة.

على ساحل (ويجتاون) قد يمشي الرجل كثيرًا على مسافة ميل مرهق، ولا يرى شيئًا حيًّا سوى النوارس البيضاء التي ترفرف بثقل وهم يصرخون على بعضهم البعض بأصواتهم الحزينة.

قرية معزولة وقاتمة للغاية!

بعيدًا عن الأنظار من برانكسوم لم يكن هناك أيُّ دليلٍ على وجود بشرٍ، إلا عندما رأينا برج (مبنى كلومبر) الأبيض العالي الارتفاع، كشاهد قبر لبعض القبور العملاقة من وسط التنوب والأروقة المحيطة به..

تم بناء هذا المنزل الكبير، على بُعد ميلٍ واحدٍ أو أكثر من مسكننا من قِبَل أحد تجَّار غلاسكو الأثرياء ذوي الأذواق الغريبة والعادات الشاذة، ولكن في وقت وصولنا كان غير مأهول لسنوات عديدة وقد صمدت الجدران الشاغرة أمام تقلُّبات الطقس ونوافِذه الصماء تنظر في غموض إلى ناحية التل.

كان المبنى خاليًا من الفطريات والعفن، إلا أنه كان بمثابة علامة فارقة للصيادين؛ لأنهم وجدوا من خلال التجربة أنه من خلال رسم خط مستقيم بين مدخنة منزل اللورد وبرج كلومبر الأبيض يمكنهم تحديد طريقهم عبر الشعاب المرجانية الخشنة المنتشرة فوق المياه المضطربة للخليج كوحشٍ نائمٍ اجتاحته الرياح.

قادنا المصير نحن الثلاثة إلى هذه البقعة البرية.

ولم تشكل الوحدة أيَّ ذعرٍ بالنسبة إلينا بعد صخب وضجيج مدينة كبيرة؛ فهناك كانت لدينا مهمة مرهِقة تمثلت في الحفاظ على مظاهرنا اللائقة بدخلٍ ضئيل!

كان هناك صفاءٌ كبيرٌ ومريح في السماء الواسعة والهواء النقي، هنا على الأقل لم يكن هناك جار للتجسس علينا والثرثرة معنا.

ترك اللورد لنا عربة يجرها مُهران صغيران، وقمنا- أبي وأنا- بالذهاب في جولة حول الضيعة لتفقُّدها ومباشرة واجبات وظيفة (الوكيل)، بينما اهتمت (إستر) اللطيفة باحتياجاتنا المنزلية وعملت على تنظيف وتنظيم منزلنا الجديد.

ظلَّ وجودنا بسيطًا وهادئًا، حتى ليلة صيف عندما وقعَ حادثٌ لم يسبق له مثيل، وبرهن على أنه كان مقدمة لتلك الأعمال الغريبة التي سيتناولها قلمي لوصفها.

من عادتي أن أقضي المساء في مركب عائم وأصطاد سمك البياض المفضل لدينا على العشاء. في هذه المناسبة التي أتذكرها جيدًا جاءت أختي معي، وجلست مع كتابها في مؤخرة القارب، بينما كنت أربط الخيط بطرف الصنارة.

غابت الشمس وراء الساحل الآيرلندي الوعر، وبقيت سحابة واحدة ممتدة كبقعة كبيرة في ثوب السماء ميزت المكان وألقت بظلالها على المياه، كان المحيط الواسع تملأه الأمواج ذات القمم القرمزية، فنهضت واقفًا على القارب أشاهد ما حولي من بانوراما واسعة تآلفت من الشاطئ والبحر والسماء عندما سمعت صرخة مفاجئة حادة قادمة من شقيقتي!

صرخت قائلة: "انظر (جون)، هناك ضوء في برج كلومبر!"

أدرت رأسي وحدقت في البرج الأبيض ذي الارتفاع الشاهق الذي برز عاليًا بين حزام الأشجار، وعندما نظرت نحوه رأيت بوضوح عند إحدى النوافذ وميض الضوء الذي اختفى فجأة، ثم أومض مرة أخرى متنقلًا من نافذة لأخرى تعلوها، وظل مضيئًا لبعض الوقت، وأخيرًا ومض في نافذتين متتاليتين بالأسفل قبل أن تحجب الأشجار نظرنا إليه.

كان من الواضح أن شخصًا يحمل مصباحًا أو شمعة قد صعد سلالم البرج ثم عاد إلى أسفله..

"مَن يكون؟" صرخت متحدثًا إلى نفسي بدلًا من (إستير)؛ لأنني استطعت أن أرى هول المفاجأة على وجهها، وبدا عليها العجز عن تقديم أي تفسير أو إفادة لما تراه!

قلت: "ربما أراد بعض الأشخاص من (برانكسوم بيري) إلقاء نظرة على المكان".

فهزت أختي رأسها نافية لذلك الافتراض، ثم قالت:

"لا يوجد واحد منهم يجرؤ على السير داخل بوابات الحديقة، إلى جانب أنه يتم الاحتفاظ بالمفاتيح لدى وكيل المنزل في (ويجتاون)، مهما كان فضول أهل القرية، فلا يستطيع واحد منهم أن يحصل على تلك المفاتيح."

عندما فكرت في الباب الهائل والمصاريع الضخمة التي كانت تحرس الطابق السفلي من كلومبر، لم أستطع إلا أن أعترف بقوة حجة أختي؛ فيجب أن يكون الزائر المفاجئ إما قد استخدم عنفًا شديدًا من أجل شق طريقه إلى البرج، وإما أنه حصل على المفاتيح.

شعرت بالغموض وأنا أنسحب بالقارب إلى الشاطئ، وصممت على أن أرى بنفسي مَن يمكن أن يكون المتسلل وما هي نواياه.

بعد أن أودعت أختي في برانكسوم، استدعيت (سيث جاميسون) وهو رجل عجوز وأحد أشد صيادي الأسماك وانطلقت معه عبر المستنقع خلال الظلام الدامس.

علق رفيقي -الذي لاحظت أنه يخفف من سرعته كلما اقتربنا من البرج- قائلًا:

"لا يجرؤ أحد على الاقتراب من البرج ليلًا".. ثم أخذ يذكر طبيعة الأرض القاحلة والمهجورة.

"حسنًا هناك شخص ما ليس لديه مخاوف وقام باقتحامه."